https://farid.ps/articles/remembering_mohammad_bhar/ar.html

ذكرى محمد بحر

محمد بحر كان **شابًا فلسطينيًا يبلغ من العمر 24 عامًا من الشجاعية**، حي مكتظ بالسكان في **مدينة غزة**. وُلد مصابًا **بمتلازمة داون** وعاش مع **التوحد**، وهي حالات شكلت اعتماده على عائلته وسلوكه الهادئ وغير اللفظي في الغالب. تذكره الأصدقاء والجيران كشخصية هادئة كان يحب الجلوس عند النافذة لمشاهدة الحياة في الشارع، يخاف بسهولة من الأصوات العالية ويعتمد على أصوات والديه المطمئنة.

في منطقة حيث الضجيج والخوف والانفجارات هي أمور يومية، كان صمت محمد ملجأه – ومسؤولية والديه. كرسا حياتهما لحمايته من قسوة العالم. لم يكن سياسيًا؛ لم يكن مقاتلاً. كان مجرد إنسان بحاجة إلى الرعاية واللطف – والذي، للأسف، لم يجد أيًا منهما في لحظة وفاته.

الظروف التي أدت إلى وفاته

في **3 يوليو 2024**، دخل الجنود الإسرائيليون الشجاعية. وصلوا في مركبات مدرعة، مع بنادق و**كلب عسكري من وحدة أوكيتز**. عندما اقتحموا شقة عائلة بحر، تجمد محمد من الخوف. لم يستطع فهم الأوامر التي صُرخت عليه؛ بالكاد كان يستطيع استيعاب الفوضى من حوله. في غضون ثوانٍ، **أطلق الجنود الكلب**. وفقًا لشهود عيان ووالديه، هاجم الحيوان **ذراعه وصدره**، وامتلأت الغرفة الصغيرة بصرخاته. حاولت والدته الوصول إليه لكن **سحبها الجنود إلى الخلف**، وتم **تثبيت والده على الحائط**. ثم تم **تقييدهما بالأغلال وإخراجهما**، وأُجبروا على مغادرة المنزل تاركين ابنهم ينزف على الأرض.

لأيام، ظل الوالدان محتجزين. وعندما أُطلق سراحهما أخيرًا، هرعا عبر الشوارع المدمرة ووجدوا ما تبقى من ابنهم: **جثته في حالة تحلل**، الدم متجمع في شقوق الخرسانة، رائحة الموت في المكان الذي كان يراقب فيه العالم من النافذة. قاما بغسله ودفنه، غير قادرين حتى على طلب مساعدة رسمية وسط القتال.

حياة بشرية – هشة، معاقة، معتمدة – انطفأت وتُركت دون تسجيل أو ندم.

3. تاريخ مقلق لاستخدام الكلاب في جيش الدفاع الإسرائيلي

قتل محمد لم يكن حادثة منعزلة. إنه جزء من **نمط مقلق**: الاستخدام الموثق **للكلاب من قبل الجيش الإسرائيلي لتخويف وإيذاء وإذلال الفلسطينيين**.

- تقرير **بتسيلم لعام 2015، "عندما تعض الكلاب"**، وثّق حالات هاجمت فيها كلاب من وحدة أوكيتز مدنيين غير مسلحين، بما في ذلك أطفال، خلال عمليات الاعتقال. خلصت المنظمة إلى أن هذه الممارسة تعادل **معاملة قاسية وغير إنسانية ومهينة**.
- **كسر الصمت**، مجموعة من الجنود الإسرائيليين السابقين، نشرت شهادات تصف استخدام الكلاب ل**تخويف المعتقلين**: أُمر الجنود بـ "ترك الكلاب تنبح في وجوههم"، أو السماح للحيوانات بعض أو جر المعتقلين الفلسطينيين المقيدين.
- **هاموكيد** و**أطباء من أجل حقوق الإنسان–إسرائيل** جمعا إفادات مُحلفة من المعتقلين الذين وصفوا **إحضار الكلاب إلى غرف التحقيق** كوسيلة للإذلال.

- **لجنة الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب (CAT)** و**هيومن رايتس ووتش** أعربتا عن قلقهما بشأن استخدام الكلاب في هذه السياقات، محذرتين من أن هذه الأساليب تنتهك التزامات إسرائيل بموجب القانون الدولي.

تصف بعض الشهادات مشاهد **الإذلال** الشديدة لدرجة أنها تمحو الخط الفاصل بين التعذيب الجسدي والنفسي: كلاب أُجبرت على الأكل أو التبول بالقرب من السجناء المقيدين، أو لمحاكاة الهيمنة الجنسية. على الرغم من أن جميع الادعاءات لا يمكن التحقق منها بشكل مستقل، فإن **نمط الإذلال والتجريد من الإنسانية** ثابت عبر سنوات من التقارير.

في هذا الضوء، الهجوم الذي قتل محمد بحر لم يكن شذوذًا، بل كان **ذروة مروعة لممارسة مؤسسية** – ممارسة تستخدم خوف الإنسان من الحيوانات كسلاح لفرض السيطرة والرعب.

4. نظام الإفلات من العقاب بموجب القانون الإسرائيلي/العسكري

ضمن النظام القانوني الإسرائيلي، **لا يملك الفلسطينيون تقريبًا أي وسيلة لتحقيق العدالة**. جميع الانتهاكات المزعومة التي يرتكبها الجنود في الأراضي المحتلة تقع تحت ولاية **المدعي العام العسكري لجيش الدفاع الإسرائيلي (MAG)**، وليس المحاكم المدنية.

يحدد MAG بمفرده ما إذا كان سيبدأ تحقيقًا، ويكاد دائمًا يرفض ذلك. وفقًا لـ**إحصاءات يش دين لعام 2023**، من بين مئات الشكاوى الفلسطينية بين عامي 2019 و2023، أدى فقط **0.7 بالمئة** إلى توجيه اتهامات. تم إغلاق **أكثر من 80 بالمئة** دون فتح تحقيق.

لا يستطيع الضحايا الفلسطينيون تقديم شكاوى جنائية مباشرة؛ عليهم الاعتماد على المنظمات غير الحكومية الإسرائيلية لتقديم التماسات نيابة عنهم. القيود على السفر، الحواجز اللغوية، وغياب الشفافية في النظام العسكري تجعل المشاركة شبه مستحيلة. حتى الدعاوى المدنية محظورة: التعديلات على **قانون الأضرار المدنية الإسرائيلي (2012)** تعفي الدولة من المسؤولية عن الأضرار التي تحدث في "مناطق القتال".

هذه البنية من الإفلات من العقاب تعني أن المؤسسة التي تُتهم بالظلم هي التي تقرر ما إذا كانت ستحقق في نفسها. في قضية محمد بحر – كما في معظم الحالات الأخرى – لم يُفتح أي تحقيق، ولم يُستجوب أي جندي، ولم تُطالب أي مسؤولية.

5. الآثار بموجب القانون الدولي

بموجب **القانون الإنساني الدولي (IHL)**، **قانون حقوق الإنسان الدولي (IHRL)**، و**نظام روما للمحكمة الجنائية الدولية (ICC)**، يمكن أن يُعتبر قتل محمد بحر **جريمة حرب وانتهاكًا خطيرًا لاتفاقيات جنيف**.

أ. اتفاقيات جنيف

- **المادتان 27 و32 من اتفاقية جنيف الرابعة** تكفلان حماية المدنيين من العنف والتخويف والمعاملة المهينة.
- **المادة 3 المشتركة** تحظر "العنف ضد الحياة والأشخاص، وخاصة القتل بجميع أنواعه، والتشويه، والمعاملة القاسية والتعذيب".
- **المادة 16** تلزم الأطراف برعاية الجرحى والمرضى. ترك مدني معاق ليموت من جروح غير معالجة **ينتهك هذه الواجبات** ويُصنف ك**"قتل متعمد"** – انتهاك خطير بموجب **المادة 147**.

ب. نظام روما (ICC) تحدد المادتان 8(2)(أ)(ii) و(iii) **القتل المتعمد** و**المعاملة غير الإنسانية** كجرائم حرب؛ تحظر المادة 8(2)(ب)(xxi) **الإهانات على الكرامة الشخصية**. إذا ثبتت النية، فإن إطلاق كلب على غير مقاتل ورفض تقديم المساعدة يستوفي هذه العناصر. أنماط متكررة من هذه الأفعال يمكن أن تصل إلى عتبة **الجرائم ضد الإنسانية** بموجب المادتين 7(1)(و) و7(1)(ح).

ج. معاهدات حقوق الإنسان تلزم التزامات إسرائيل بموجب **العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (ICCPR)**، **اتفاقية مناهضة التعذيب (CAT)**، و**اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (CRPD)** منع التعذيب، والحرمان التعسفي من الحياة، والتمييز. إعاقة محمد تمنح القضية أهمية خاصة بموجب المادة 10 من CRPD (الحق في الحياة) والمادة 15 (الحرية من التعذيب).

د. مسؤولية القيادة والدولة بموجب القانون الدولي العرفي و**المادة 28 من نظام روما**، يمكن أن يتحمل القادة مسؤولية جنائية إذا كانوا يعلمون أو كان يجب أن يعلموا بالانتهاكات وفشلوا في منعها أو معاقبتها. تتحمل إسرائيل، كدولة، المسؤولية عن الأفعال غير القانونية وفشلها في التحقيق.

مجتمعة، لا تترك هذه الأطر أي شك في أن **موت محمد بحر هو قتل غير قانوني** بموجب القانون الدولي.

الرد الدولي

انتشرت أخبار وفاة محمد بحر في أوساط الإنسانية وحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة.

- أصدرت **داون سندروم إنترناشونال** بيانًا يعبر عن "الصدمة والحزن العميق"، واصفة الحادث بأنه "انتهاك مروع للكرامة الإنسانية وحق الحياة لشخص ذي إعاقة".
- أدانت **الإغاثة الإسلامية العالمية** القتل واصفة إياه بـ"المؤلم" وطالبت **بتحقيق دولي مستقل**.
- أشار **المقرر الخاص للأمم المتحدة المعني بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة** إلى القضية كرمز للضعف الحاد للأشخاص ذوي الإعاقة في مناطق النزاع.
- ربطت تحقيقات **الغارديان**، **لو موند**، و**هآرتس** وفاته بتحقيق أوسع حول استخدام جيش الدفاع الإسرائيلي للكلاب الهجومية في المناطق المدنية.

ومع ذلك، وبعيدًا عن الإدانات، **لم تتمكن أي دولة أو هيئة دولية من السعي للمساءلة**. يعزز غياب العدالة شعورًا بأن أرواح الفلسطينيين – وخاصة الأكثر ضعفًا – تظل غير محمية من قبل النظام الدولي الذي يدعي حمايتهم.

أصداء الفصول الأكثر ظلمة

لفهم الثقل الأخلاقي الكامل لوفاة محمد بحر، يجب أن ننظر خارج غزة، إلى **مرآة التاريخ المظلمة**.

قتل شخص معاق تُرك ليموت يذكر **بأحلك قصص البشرية**: الأيديولوجيات اليوجينية التي اعتبرت مثل هذه الأرواح لا قيمة لها، برنامج **أكشن T4** النازي الذي قضى على المعاقين، والقسوة الاستعمارية والمؤسسية التي محت الاختلاف.

عندما يستطيع جندي أن يأمر كلبًا بتمزيق شخص لا يستطيع الدفاع عن نفسه، فإنه يعيد إحياء نفس المنطق القديم للتجريد من الإنسانية – أن بعض الأرواح أقل أهمية. لقد حذرنا التاريخ مما يتبع عندما يقبل المجتمع هذا الاعتقاد.

انتهاك المقدس: القانون الأخلاقي اليهودي وقيمة الحياة

إن مأساة محمد بحر تجرح أيضًا **القلب الأخلاقي لليهودية**، التي تعتبر تعاليمها حول قدسية الحياة من بين الأقدم والأكثر ثباتًا في تاريخ البشرية. مبدآن أساسيان – **بيكواخ نفس** و**بتسلم إلوهيم** – يجعلان ظروف وفاته ليست مجرد إهانة إنسانية، بل **تدنيسًا عميقًا للقانون الأخلاقي اليهودي**.

بيكواخ نفس – واجب إنقاذ الحياة

في القانون اليهودي، ينص **بيكواخ نفس** على أن **إنقاذ حياة واحدة يتقدم على جميع الوصايا الأخرى تقريبًا**. يعلم التلمود: **"من ينقذ حياة واحدة، كأنما أنقذ العالم كله."** حتى في يوم السبت، عندما تُحظر معظم الأعمال، يجب على المرء خرق القانون لإنقاذ شخص في خطر. تجاهل شخص مصاب – أي شخص – هو انتهاك لهذا الواجب المقدس.

الجنود الذين تركوا محمد ينزف انتهكوا ليس فقط المعايير الدولية، بل أيضًا هذه الوصية المركزية لتقاليدهم الدينية. وفقًا لـ **بيكواخ نفس**، كانوا ملزمين بتقديم المساعدة له، والحفاظ على حياته فوق كل شيء. تركه كان ليس فقط فعل عنف – في اللغة الأخلاقية اليهودية، كان **خلول هاشم**، تدنيسًا لاسم الله.

بتسلم إلوهيم – على صورة الله

من بداية سفر التكوين يأتي الإعلان: **"وخلق الله الإنسان على صورته."** هذه الفكرة – **بتسلم إلوهيم** – هي أساس الأخلاق اليهودية، ومن خلالها، قانون حقوق الإنسان الحديث. إنها تؤكد أن **كل إنسان، بغض النظر عن جنسيته أو دينه أو إعاقته، يحمل كرامة إلهية**.

إطلاق كلب على شخص لا يستطيع الدفاع عن نفسه كان إنكارًا لهذه الصورة، والتصرف كما لو أن الشرارة الإلهية موجودة في شعب واحد فقط وليس في آخر. هذا التفكير هو بالضبط ما أدانته الأنبياء. صرخة إشعياء – **"توقفوا عن فعل الشر؛ تعلموا فعل الخير؛ ابحثوا عن العدالة، خففوا معاناة المظلومين"** – تطالب بالاعتراف بالإلهي في كل حياة.

لذلك، الفعل الذي قتل محمد بحر لم ينتهك القانون الإنساني فحسب، بل أيضًا **أعمق الوصايا للتقاليد الأخلاقية اليهودية**. لقد خان الإيمان الذي يصر على أن الحفاظ على الحياة يتجاوز الحدود، وأن القسوة تجاه أي إنسان هي إهانة للخالق.

الحساب الأخلاقي

بالنسبة لشعب يحمل في تاريخه ذكرى الاضطهاد، لا يمكن أن يكون الأمر الأخلاقي أوضح. عظمة اليهودية لا تكمن في القوة بل في الرحمة؛ قداستها تُقاس ليس بالانتصار بل بالرحمة. استدعاء الأمن كمبرر للقسوة هو استبدال أخلاق التوراة بمنطق فرعون.

إن تكريم **بيكواخ نفس** و**بتسلم إلوهيم** اليوم يعني التأكيد على أن حياة محمد بحر – على الرغم من كونه فلسطينيًا ومعاقًا وفقيرًا – كانت مقدسة. يعني الاعتراف بأن موته لم يكن مجرد مأساة إنسانية، بل فشلًا روحيًا، خيانة للصورة الإلهية فينا جميعًا.

خاتمة: الشهادة

تذكر محمد بحر يعني رفض المحو الصامت الذي غالبًا ما يتبع الفظائع. لم يكن مقاتلاً، ولم يكن خطرًا، ولم يكن حتى قادرًا على فهم الأوامر التي صُرخت ضده. كان شابًا يعاني من متلازمة داون والتوحد، محاصرًا في شقة عندما حوّل الجنود وكلبهم منزله إلى مكان للرعب. كان إنسانًا كان يجب حماية حياته، وكان يجب أن تثير هشاشته الرحمة، وليس العنف.

قتله يمزق كل ذريعة للتبرير ويكشف الحقيقة العارية: أن القسوة تبدأ حيث تنتهي التعاطف، وأن قيمة القانون تُقاس بما إذا كان يحمي الضعفاء. قصته تطالب بأكثر من الشفقة. إنها تطالب بأن ننظر مباشرة إلى النظام الذي جعل هذا ممكنًا: نظام احتلال يُطبّع القسوة، نظام دولي يبررها، وإرهاق أخلاقي جماعي يسمح للمأساة بالتكرار.

ما يبقى هو واجب التذكر – ليس كإيماءة عاطفية، بل كمطلب للوضوح الأخلاقي. موته ينتمي إلى سجل التاريخ ليس كشذوذ، بل كتحذير. المجتمع الذي يستطيع النظر إلى جثة شخص معاق تنزف ولا يشعر بشيء قد بدأ في السير على نفس الطريق الذي سلكته الحضارات السابقة نحو الدمار.

تذكره يعني نطق اسمه ضد هذا اللامبالاة. **محمد بحر**. ابن. حياة كانت ذات قيمة. جرح في ضمير العالم.

المراجع

التقارير الأولية والتغطية الإخبارية

1. **"قتل محمد بحر." ويكيبيديا**، آخر تحديث 2025.
2. **لو موند** (يوليو 2024). "في غزة: معاناة شاب مصاب بمتلازمة داون قُتل على يد كلب الجيش الإسرائيلي."
3. **هآرتس** (يوليو 2024). "رجل من غزة مصاب بمتلازمة داون قُتل على يد كلب هجومي تابع لجيش الدفاع الإسرائيلي."
4. **الغارديان / ARIJ** (يونيو 2025). "أسلحة الحرب: استخدام إسرائيل للكلاب الهجومية."
5. **ريليف ويب / الإغاثة الإسلامية العالمية** (يوليو 2024). "الإغاثة الإسلامية مصدومة بقتل محمد بحر وتطالب بالتحقيق."
6. **داون سندروم إنترناشونال** (يوليو 2024). "بيان حول وفاة محمد بحر في غزة."

وثائق حقوق الإنسان والقانونية

7. **بتسيلم – المركز الإسرائيلي لمعلومات حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة** (2015). **عندما تعض الكلاب: استخدام الكلاب لأغراض عسكرية في الأراضي المحتلة.**
8. **هاموكيد – مركز الدفاع عن الفرد** (2019). **الانتهاكات في الحجز: شهادات من سجون عوفر ومجيدو.**
9. **كسر الصمت** (2014–2023). **شهادات جنود سابقين في جيش الدفاع الإسرائيلي حول استخدام الكلاب ومعاملة المعتقلين.**
10. **يش دين – متطوعون من أجل حقوق الإنسان** (2023). **ورقة بيانات: إنفاذ القانون على جنود جيش الدفاع الإسرائيلي في الضفة الغربية 2019–2023.**
11. **هيومن رايتس ووتش** (2021). **عتبة تم تجاوزها: السلطات الإسرائيلية وجرائم الفصل العنصري والاضطهاد.**
12. **لجنة الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب** (CAT/C/ISR/CO/5) (2016 و2022). **الملاحظات الختامية على التقريرين الدوريين الخامس والسادس لإسرائيل.**

13. **مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان (OHCHR)** (2024). **تقرير المقرر الخاص المعني بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة.**

القانون الدولي والاتفاقيات

14. **اتفاقيات جنيف (1949)** والبروتوكولات الإضافية الأولى والثانية **(1977).**
15. **نظام روما للمحكمة الجنائية الدولية** (1998).
16. **العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (ICCPR)** (1966).
17. **اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة (CAT)** (1984).
18. **اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (CRPD)** (2006).
19. **لجنة القانون الدولي** (2001). **مواد بشأن مسؤولية الدول عن الأفعال غير القانونية دوليًا.**

المصادر الأخلاقية واللاهوتية اليهودية

20. **الكتاب المقدس العبري / التناخ. التكوين 1:26-27** – خلقت البشرية **بتسلم إلوهيم** (على صورة الله).
21. **التلمود البابلي، سنهدرين 37أ.** "من يدمر حياة واحدة، كأنما دمر العالم كله؛ ومن ينقذ حياة واحدة، كأنما أنقذ العالم كله."
22. **التلمود البابلي، يوما 85ب.** مبدأ **بيكواخ نفس** – إنقاذ الحياة يتقدم على جميع الوصايا تقريبًا، حتى في يوم السبت.
23. **مشناه توراة، هيلخوت شبات 2:1 (ميمونيدس).** "خطر الحياة يتقدم على السبت."
24. **الحاخام جوناثان ساكس** (2011). **كرامة الاختلاف: كيفية تجنب صدام الحضارات.** لندن: كونتينيوم.
25. **الحاخام أبراهام يشوع هيشل** (1965). **الأنبياء.** نيويورك: هاربر آند رو – حول العدالة والصورة الإلهية.

التحليلات الثانوية والسياق

26. **أطباء من أجل حقوق الإنسان – إسرائيل** (2020). **بين السطور: الإهمال الطبي والعوائق في مناطق النزاع.**
27. **منظمة العفو الدولية** (2023). **إسرائيل/الأراضي الفلسطينية المحتلة: نمط الإفلات من العقاب على القتل في مناطق الحرب.**
28. **مكتب المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية** (2021). **الوضع في دولة فلسطين: تقرير التحقيق الأولي.**